

4

# قصص الصحابة

امـرأة  
من أهل الجنة

سلوى العناني



# امراة من أهل الجنة

(بركة)

[ أم أيمن بعد أمي ]

صدق يقول الله

ستحدث الآن عن واحدة من خير النساء المسلمات  
اللواتي لازم الرسول - عليه السلام - منذ لحظة مولده  
وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى -

كان اسمها (بركة) - فلما تزوجت ألحيت صبيها اسمته  
(أيمن) ومن يومها عُرفت باسم (أم أيمن) - وبهذا الاسم  
تحدث عنها كتب السيرة ، ونحن عندما نتحدث عنها قبل  
ميلاد (أيمن) نسسميها (بركة) أما بعد ميلاد أيمن فسنطلق  
عليها اسم (أم أيمن) .



كان شاباً من أكرم شيوخ مكة - فهو سليل أشرف  
عائلاتهما وابن أعرق قبائلها - وكان الجميع يتطلع عليه -  
كلما غدا أو راح - بالكبر وإعزاز واحترام - فهو فوق كل



ما ذكرناه : شابٌ وسيمٌ الطَّلعة .. في مشيته رجولة .. وفي حديثه حكمة وفي مجلسه أُنس ..

هو عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب بنِ هاشم بن عبد مناف بن قصي .

هو الشابُ الذي اقتناه أبوه بمائةٍ من الإبلِ وقوله لنذر .. وكان هذا هو أغلى فداءٍ دفعه أحدُ العربِ حتى هذا التاريخ .

ولما بلغ عبدُ الله الرابعة والعشرين رغب أبوه أن يزوجه ، وكان لابد أن يبحث عن فتلة لا تقل شرفًا ولا حُسنًا عن ابنته .. وجد هذه المواصفات في أمة بنت وهب ابن عبد مناف سيد بني زهرة .

يا له من اختيار .. أن يتزوج ابن سيد بني هاشم من ابنة سيد بني زهرة .. وتمضي الأسابيع بالعروسين مُسرعة .. وتشعر الزوجة الشابّة بأعراض الحمل ، لتدخل سعادةً جليفةً إلى حياة هذه الأسرة الصغيرة .

لكن إقلمة الزوج مع زوجته لم تَطُلْ .. فقد خَرَجَ في تجارة إلى بلاد الشام وترك عروسه في بيت أبيه ومعها جاروتُه الحبيبة (بركة) .

مضت الأيام على أمة بطيئة مثاقلة .. وكيف لها أن  
تُسعد وقد سافر زوجها بعد أسابيع قليلة من زواجهما .

ويأتي الناعي بحبر وفلة فتى قريش .. زينة فتيان بني  
هاشم .. وسيم الطلعة ، جميل الأخلاق .. وتتهارى (أمة) ..  
وتنهار قواها . وتشعر أن الدنيا قد خلعت من الحُبِّ  
والسعادة .. إلا أن (بركة) الجارية الحبشية كانت نِعْمَ المُعين  
وغيرَ رافقٍ ( لأمة ) .. فكانت ترعاها وتهتم بحملها ..  
وتسري عنها بالحدوث ..

كانت (بركة) ضمن الإرث المتواضع الذي تركه  
(عبدُ الله) .. وكان هذا الإرث يشمل خمسة من الإبل وقطيعاً  
من الأغنام .. وهذه الجارية الطيبة الحنون (بركة) ..

وتتقدم شهورَ الحمل (بثلاثة) حتى تأتي ساعة المخاض .  
وتقف (بركة) إلى جوار سيدتها تساعدُها وتخفف عنها  
آلام الوضع حتى تستقبل المولود على يديها .. تُسرع إليه  
فتلفه وتحتضنه في حُبٍّ .. ولم لا .. إنه الحبيب ابن الحبيب  
والحبيبة ..

واسرعت (بركة) بالمولود إلى جَدِّه الذي كان جالساً بجوار  
الكعبة فسرَّ به وقبله وطاق به متباركاً .. ثم أسماه (حمداً) .

مكنّا كانت (بركة) هي أول حضن ضمّ محمد بن عبد  
الله لنظّل إلى جواره لا تفارقه حتى يلتقى ربه .

ورضيت (أمّة) بقضه الله ورأت في ابنها (محمد) خير  
عوضٍ عن فقد زوجها الذي اختطفه الموت منها وهو ما  
زال شابا .. فضاعفت حنانها ورعايتها له ، وكان من عاداتها  
أن تسافر مرة في كل عام إلى (يثرب) حيث بني علي  
(أخوال عبد المطلب جد ابنها محمد) . ونزور قبر زوجها  
الحبيب .. وكان يصحبها في رحلتها ابنها وخالتمته (بركة)  
التي لم تكن تفارقها أبدا ..

وتروي لنا (بركة) عن ذكريات إحدى هذه الزيارات  
(ليثرب) فتقول :

(أتاني رجلان من اليهود يوما نصف النهار فقلا :  
أخرجي لنا أحمد ، فنخرجته فنظرا إليه وقبلاه مليا ، ثم قال  
أحدهما لصاحبه : هذا نبيّ هذه الأمة .. وهذه دارُ هجرته ،  
وسيكون بهذه البلدة من القتل والسي أمرٌ عظيم .  
قالت بركة : ووعيت ذلك كله من كلامهما) .

لقد بشرت كتبُ الأدبِ السماوية السابقة على الإسلام  
برسالة محمد وذكرت أوصاف هذا النبي وظروف دعوته ..

إلا إن عددًا كبيراً من أتباع هذه الأديان (خاصة اليهود) لم يؤمنوا بمحمد ولا بدعوته .. وها هي (بركة) مريته الرؤوم تروي هذه الرواية التي تؤكد علم هؤلاء بقرب ظهور نبي .. وفي طريق العودة من إحدى هذه الزيارات .. وكان (محمد) في حوالي السادسة من عمره .. مرضت (آمنة) ثم احتفظها الموت لتدفن - هي الأخرى - بالقرب من (يثرب) .

حزن الفتى (محمد) حزناً شديداً من أجل أمه .. بغياها ستحيطه الوحشة والوحشة .. فقد كانت هي مصدر حنان الوجود .. بعد فقدته لأبيه .

لا بد أنه كان موقفاً قاسياً على (بركة) التي استيقظت ليها مشاعر الأمومة .. وعصرها الألم لحال هذا الطفل الذي كُتِبَ عليه اليتم من أبيه ومن أمه وهو لم يزل ابن السادسة .. وشعرت (بركة) بأنها أمام مسئولية كبيرة .. فهي جارية الطفل التي ودتها عن أبيه .. وهي المخلوق الوحيد المتفرغ لخدمته .

والى بيت جده (عبد المطلب) عاد (محمد) ومعه (بركة) التي ظلت ترعى شئونونه وتقوم على خدمته .. وكانت له

نعم الام بعد امه .

ومن ذكريات هذه المرحلة تحكي لنا بركة هذه الحكاية :  
(كنت أحضن<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفلت  
عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول :  
يا بركة !

قلت : لييك .. قل : أتدريين ابن وجدت ابني (يعني  
حفيدة محمدًا) .. قلت : لا أدري .. قل : وجدته مع غلمان  
قريبا من السدرة ، فلا تغفلي عنه ، فإن أهل الكتاب  
يزعمون أنه نبي هذه الأمة ، وأنا لا آمنهم عليه ) .

إذا .. فقد كانت معرفة أهل الكتاب بنسوة (محمد) أمرا  
معروفا ومتشرا حتى إن جدك كان شديد الحرص عليه ..  
يوصي (بركة) ألا تغمض عينها عنه لحظة خشية أن  
يتعرض له أحد بلخي . كان الجد (عبد المطلب) شديد  
التعلق بحفيدة (محمد) فهو ابن (عبد الله) الفتى الذي لم  
تشهد له مكة نظيرًا في الجمال والحكمة والوسيلة  
والرزاقية .. الفتى الذي اقتداه أبوه بأعلى ما يفتدي أب ابنه  
حتى هذا التاريخ .

(١) أحضن : أكرم على رعاية الطفل وعنده .

وتضاعف حنانُ الجدِّ على حفيده بعد موت أمِّه (أمِّنة)  
وتضاعفت مسؤوليته عنه .. لكنه كان يرى في (بركة) خيرَ  
مُعِينٍ له على تحملِ هذا .. فهي بديلٌ عن الأمِّ حناناً  
ورعاية .. وبديلٌ عن الأبِّ مراقبةً وحمايةً .

وتروى الأخبارُ أنَّ (عبد المطلب) .. وهو سيد قريش  
وكبير أشرافها كان يُصرُّ على أن يجلس (محمد) إلى جواره  
على الفراش المخصص له بينما يجلس باقي أبنائه بعيداً .  
وكان كثيراً ما يريث على كتفه ويسمعه حلو الكلمات ،  
وكانه يتمنى أن يُخَفَّفَ عن كاملِ هذا الصغير ألمَ اليتيم  
الذي عاناه ..

ولحكمة لا يعلمها إلا الله وحده ماتَ الجدُّ (عبد المطلب)  
بعد عامين من موت (أمِّنة) ليتطفئ آخر مصابيح الحنان في  
حياة (محمد) .

ويروى أنَّ محمداً بكى جثَّةً بحرقه شديدة .. فقد كان يبكي  
فيه الجدَّ الختون .. والأبَّ الذي مات قبل أن يُولد .. والام  
التي حرمة الموت من دفنه أحضانها .

لكنَّ حينَ (بركة) لم تكنْ تغفل لحظة عن الصبي .. ولم  
تبتلْ عليه بلحَبٍ والحنانِ والدفءِ وصنقِ الرعاية ..





وكانها تحاول أن تعوضه عما فقد .. مرة بعد الأخرى .

وبعد موت (عبد المطلب) انتقل (عمر) ومعه (بركة) إلى بيت عمه (أبي طالب) الذي كَفَلَ الصغير بعد جده ..  
وتتمسك (بركة) بصغيرها وتصرُّ على رفقة ورعايته  
وتحرص على كل شئونه ..

ومما ترويه - رضى الله عنها - عن طفولة النبي صلى الله عليه وسلم- تقول : (ما رأيت رسول الله شكاجوعا ولا عطشا لا في كِبَرِهِ ولا في صِغَرِهِ .. كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة .. فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان) .

لم تكن طفولة النبي - عليه السلام - ولا هيبة مثل طفولة وصيِّا باقي أقرانه وأترابه بل كان نسيجا خالصا وطبيعة مختلفة. كان كثير التلُّل .. هائج الطبع .. مبتعدا عن أماكن اللهو والعبث .. كثير الصمت وكأنه يفتش عن حقيقة براها غائبة ..

وكان في نفس الوقت عازقا عن الطقوس والاحتفالات الدينية التي تُقام للأصنام والأوثان .

لكنما عَصَمَهُ الله من الهوى الذي يَزِلُّ فيها بعضُ

الشباب - عصمه عن السجود للأصنام ..

تروي (بركة) أنه كان (ببوانة)<sup>(١)</sup> صتم تحضره قريش وتعظمه وتنسك له التائبون ويخلقون رؤوسهم عنده ويعكفون عنده يوما إلى الليل ، وذلك يوما في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله - عليه السلام - أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله ذلك ، حتى رأيت أبا طالب غضيبا عليه ورأيت عماته غضيبين عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تُكثر لهم ؟

قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً فزَعَا ، قالت عماته : ما دعاك ؟.. قل : إني أخشى أن يكون بي لم .. فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشیطان ، وفيك من خيصال الخير ما فيك .. فما الذي رأيت ؟

قل : إني كلما دنوت من صتم منها ثقل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : ورايك يا محمد لا تمسه .. فما عدت إلى عيد لهم حتى قتلوا<sup>(٢)</sup> .

(١) ببوانة : منطقة قريبة من جبل الحر الأحمر .

(٢) قتل : قتل عليه وحشي القوة .

كرد (محمد) عليه السلامُ إساناً رقيقاً مرهفاً أحسنُ  
صانعٍ المشاعر .. فقد أدرك مدى إخلاص حلامته (بركة)  
فكان يقدر ما تصنع من أجله ويشعرُ بعواطفها الصادقة  
تجاهه ..

فلما تزوج - عليه السلام - من السيدة خديجة أعتق  
(بركة) تقديراً لما صنعت وعرفانا بحميلها .. إلا أن (بركة)  
لم تترك بيت (محمد) ولم تحب في عتقها أي امتياز يجعلها  
تعالوه .. فقد كان سيدنا يحسن معاملتها ويشعرها دائماً  
بكرميتها ويقدر عطفها .. وهذا هو نبي الإسلام محمد ،  
يكرم حلامه ويطعمه مما يطعم ويكسوه مما يلبس ولا يسمعه  
ما يجرح إنسانيته ولا ينهره ~~أهلها~~ حتى لو أخطأ .

لقد أصرت (بركة) على ضحية التي وهي حرة ، كما  
أحب ضحيته وهي حارية .. فقد كانت أقرب الناس إلى  
رسول الله وكان يناديها (يا أمه) وكثيراً ما قل عنها .. (هذه  
بقية أهل بيتي).

وتزوجت (بركة) من رجل من بني حارث يدعى عبيد  
ابن زيد وأنجبت له (أيمن) الذي كانت تُسكن باسمه  
وأصبح يعرف (بأم أيمن) ولما برز الوحي على رسول

الله - عليه السلام - كانت (أم أيمن) و(أئمن) من أوائل من  
دخل الدين الحنيف وكان ولاؤهما للنبي الكريم ولاء لا  
نظير له ..

وتقول بعض الروايات إن (أم أيمن) هاجرت بدينها مع  
من هاجر من المسلمين الأوائل إلى الحبشة ..

لكنها هاجرت بكل تأكيد مع النبي إلى المدينة ..

ويموت (عبيد بن زيد) زوج (أم أيمن) وتستيفظ في قلب  
النبي مشاعر البثوة تجاه المرأة التي يقول عنها (أبي بعد أمي)  
ويشعر بمسئولية تجاهها وتجاه استقرارها وأمنها .. فيرى أنه  
يجب عليه أن يزوجه .

جلس النبي يوماً بين أصحابه وقال لهم : من سؤء أن  
يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج (أم أيمن) .

وبالحق (زيد بن حارثة) حب رسول الله ومولاه .. ليتزوج  
هذه السيدة الفاضلة .

كان (زيد) لا يقل فضلاً عن (أم أيمن) . فهو من  
السابقين إلى الإسلام وهو الذي أثار البقاء مع النبي عن  
العودة لأهله ، وهو الذي قالت عنه السيدة عائشة : (ما  
بعث رسول الله زيد بن حارثة في جيش قط إلا أسره

عليهم . ولو بقي حيا بعد الرسول لاستخلفه) .

وها هو (زيد) يباشر ليتزوج امرأة تقية صالحة رغم أنها  
جارية سنا وليس لها مال ولا جمل يقري شأبا في مثل سن  
(زيد) .. لكنه اختارها لتقائها وورعها وحُسن إسلامها ..  
وهو يأخذ بنصيحة رسول الله (أظفر بذات الدين) .. وقد  
ظَفَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِذَاتِ الدِّينِ الَّتِي قَالَتْ عَنْهَا الرَّسُولُ :  
(امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

وشمر الزواجُ فتى مسلما تشهدُ له ساحاتُ القتْلِ في  
سبيل الله والجهلُ لنصرة دينه هو (أسامة بن زيد) الذي قاد  
جيشَ المسلمين في عديد من المعارك والمواقف وخرج فيها  
جميعا منتصرا .

فهل اقتصر دور (أم أيمن) في الحيلة على حضانة النبي  
وخدمته ثم حضانة أولادها (أيمن) و(أسامة) وتربيتهم على  
مبادئ الإسلام حتى أصبحا من أعلام الدعوة الإسلامية ؟  
لا .. لم يكن هذا هو دور أم أيمن فقط .. وهو دور عظيم  
ورائع أدته هذه السبلة العظيمة على خير وجه ..

لكنها كانت فوق هذا الدور محاربة صالحة .. فقد  
خَضَرَتْ كُلَّ الْمَشَاهِدِ وَالْفُرُوقِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - وَكَانَ دَوْرُ

النسـله في هذه المعارك خلف صفوف المقاتلين دائما ..  
في أحدٍ - كانت (أم أيمن) مع غيرها من النسـله تداوي  
الجرحى وتسقي المحاربين - وفي خيبر كانت تحارب مع  
المحاربين وتخدم المقاتلين خلف صفوف القتـل حتى إن النبي  
- عليه السلام - كان يعطيها حقها من (الفى) (\*) .

عُمرت (أم أيمن) حتى جاوزت التسعين .. وشهدت وفاة  
النبي - عليه السلام - ووفـة أبي بكر وعمر .. وكان يـكـاـزها  
على النبي يـكـله حلـا .. فهو الابن الحبيب .. وهو الرسول  
الكريم .

عاشت (أم أيمن) تذكر كيف كان النبي يـلـزحها .. فقد  
طلبت منه يوما أن يحملها - أي يعطيها ناقةً تركبها في سفر -  
فقال عليه السلام : أحملك على ولد ناقة .. فظنت أنه  
يريد أن يحملها على فصيل (\*\*). فقالت : يا رسول الله ..  
لا يطيقني ولا أريد .. فقال: لا أحملك إلا على ولد ناقة ..  
وكان الرسول يمزح ولا يقول إلا الحق - فالإبل كلها ولد

ناقة -

(\*) الفى : غلام الحرب

(\*\*) الفصيل : هو ولد الناقة

ومن المواعظ النبوية التي نقلتها لنا (أم أيمن) أنه - صلى  
الله عليه وسلم - قال :

« لا تشرك بالله شيئا وإن عُدبت وإن خُرقت ، وأطع  
والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فلتخرج  
منه ، ولا تترك صلاة مكتوبة عمداً .. فإن من ترك الصلاة  
عمداً فقد برئت منه ذمة الله .. وإياك والحمر .. فإنها مفتاح  
كل شر ، وإياك ومعصية الله فإنها موجبة لسخط الله ولا  
تَغْلُلُ<sup>(\*)</sup> ولا تفر يوم الزحف وإن هلك وأقر أصحابك ،  
وإن أصاب الناس موتك<sup>(\*\*)</sup> وأنت فيهم قاتل ، ولا تنزع  
الامرأه ، وإن رأيت أنه لك ، وأنفق من طولك<sup>(\*\*\*)</sup>  
على أهل بيتك ولا ترفع عصك عنهم أدبا ، وأخفهم في  
الله عز وجل " صلى رسول الله .

(\*) الغلول : هو الخيانة .

(\*\*) الموتان : هو الزيادة .

(\*\*\*) الطول : الشيء الكثير .